قال رحمه الله تعالى :

[(بيعة العقبة الثانية) : وكثر الإسلام بالمدينة وظهر ثم رجع مصعب بن عمير إلى مكة ، ووافى الموسم ذلك العام خلق كثير من الأنصار ، من المسلمين والمشركين ، وزعيم القوم البراء بن معرور ﷺ ، فلما كانت ليلة العقبة ـ الثلث الأول منها ـ تسلل إلى رسول الله ﷺ ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان ، فبايعوا رسول الله ﷺ خفية من قومهم ومن كفار مكة ، على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأُزُرهم ، فكان أول من بايعه ليلتئذ البراء بن معرور ، وكانت له اليد البيضاء ، إذ أكد العقد وبادر إليه ، وحضر العباس عم رسول الله ﷺ موثقاً مؤكداً للبيعة مع أنه كان بعدُ على دين قومه ، واختار رسول الله ﷺ منهم تلك الليلة اثني عشر نقيباً وهم : أسعد بن زرارة ابن عُدَس ، وسعد بن الربيع ابن عمرو ، وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس ، ورافع بن مالك بن العجلان ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء ، وعبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر وكان قد أسلم تلك الليلة ﷺ ، وسعد بن عبادة بن دُليم ، والمنذر ابن عمرو ابن خنيس ، وعبادة بن الصامت ، فهؤلاء تسعة من الخزرج . ومن الأوس ثلاثة وهم : أسيد ابن الحضير ابن سماك ، وسعد بن خيثمة ابن الحارث ، ورفاعة بن عبد المنذر ابن الزبير ، وقيل : أبو الهيثم بن التيهان مكانه ثم الناس بعدهم . والمرأتان هما : أم عمارة نسيبة بنت كعب ابن عمرو التي قتل مسيلمة ابنها حبيب بن زيد بن عاصم بن كعب ، وأسماء بنت عمرو ابن عدي بن نابي . فلما تمت هذه البيعة استأذنوا رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل العقبة فلم يأذن لهم في ذلك ، بل أذن للمسلمين بعدها من أهل مكة في الهجرة إلى المدينة ، فبادر الناس إلى ذلك ، فكان أول من خرج إلى المدينة من أهل مكة أبو سلمة بن عبد الأسد ، هو وامرأته أم سلمة فاحتُبست دونه ومُنعت سنة من اللحاق به ، وحيل بينها وبين ولدها ، ثم خرجت بعد السنة بولدها إلى المدينة ، وشيَّعها عثمان بن أبي طلحة ، ويقال : إن أبا سلمة هاجر قبل العقبة الأخيرة ، فالله أعلم . ثم خرج الناس أرسالاً يتبع بعضهم بعضاً] .

****

قال ابن كثير رحمه الله: ((**بيعة العقبة الثانية**)) ؛ ذكر رحمه الله هنا بيعة العقبة الثانية وهي في العام الثاني عشر للبعثة ؛ قبل الهجرة بسنتين ، وأشار في مقدمة ذلك أن الإسلام كثر في المدينة وظهر .

قال : ((**وكثر الإسلام بالمدينة وظهر ، ثم رجع مصعب بن عمير إلى مكة**)) ؛ ومرَّ معنا أن النبي عليه الصلاة والسلام بعثه بعد البيعة الأولى للعقبة إلى المدينة ليعلِّم الناس القرآن . وأنه كان ﷺ يؤمهم وأنه جمّع بهم .

قال : ((**ووافى الموسم ذلك العام خلق كثير من الأنصار ، من المسلمين والمشركين ، وزعيم القوم البراء ابن معرور** ﷺ)) ؛ وهذا في العام الثاني عشر من مبعث النبي ﷺ ففي هذا العام كانت هذه البيعة ؛ بيعة العقبة الثانية . وساق ابن كثير رحمه الله تعالى خبر هذه البيعة وقد رواها ابن إسحاق في سيرته ، ومن طريقه الإمام أحمد في مسنده بإسنادٍ صحيح وفق الخلاصة التي ذكرها ابن كثير رحمه الله تعالى هنا .

وهذه البيعة يسميها بعض الصحابة ﷺ "بيعة الحرب" : لأنهم بايعوا النبي ﷺ على النصرة والقتال في سبيل الله ﷻ ، ولهذا جاء في مسند الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت وهو أحد الذين بايعوا النبي ﷺ هذه البيعة أنه كان يسميها بيعة الحرب لأنهم بايعوا النبي ﷺعلى ذلك ، بخلاف البيعة الأولى فإنهم بايعوه كبيعة النساء .

ولهذه البيعة الثانية مكانة عظيمة ، لأنه على إثر هذه البيعة بدأت الهجرة إلى المدينة وبدأ المهاجرون ينتقلون ويتحولون إلى المدينة قبل النبي عليه الصلاة والسلام ، وسيأتي إشارة المصنف رحمه الله تعالى إلى ذلك . جاء في الصحيحين عن كعب بن مالك ﷺ قال : ((وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا)) وهذا مما يبين مكانة هذه البيعة .

قال : ((**فلما كانت ليلة العقبة الثلث الأول منها**)) ؛ أي لما مضى الثلث الأول من الليل ، وكان ذلك في أوساط أيام التشريق .

((**تسلل إلى رسول الله ﷺ ثلاث وسبعون رجلاً وامرأتان**)) ؛ أي لما نام الناس تسللوا خُفيةً ولواذاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام عند العقبة . ولهذا تنسب هذه البيعة كالبيعة

الأولى إلى العقبة لأنها حصلت عندها ، وتُنظر أسماء هؤلاء في تاريخ الإسلام للذهبي وفي غيره من المصادر ؛ قال الذهبي في تاريخ الإسلام : " تسمية من شهد العقبة " وذكرهم رحمه الله تعالى .

قال : ((**فبايعوا رسول ﷺ خُفية من قومهم ومن كفار مكة**)) ؛ لاحظ الاستخفاء بهذه البيعة ! استخفاء من قومهم المشركين الذين جاؤوا هم وإياهم من المدينة ، وخُفيةً أيضا من كفار مكة .

((**على أن يمنعوه مما يمنعوا منه نساءهم وأبناءهم وأزُرهم**)) ؛ بايعوا النبي عليه الصلاة والسلام على النُصرة وأن يمنعوه مما يمنعوا منه نساءهم وأبناءهم وأزُرهم ، والمراد بأُزُرِهم أي : أنفسهم ، والإزار معروف ويطلق ويراد به النفس ، وأحيانا يطلق ويراد به الأهل ؛ فالمراد به هنا : الأنفس ؛ فبايعوا النبي عليه الصلاة والسلام تلك الليلة على أن ينصروه وأن يؤازروه مثل ما ينصروا أنفسهم وبنيهم ونساءهم .

قال : ((**فكان أول من بايعه ليلتئذ** – أي في تلك الليلة العظيمة – **البراء ابن معرور** رضي الله عنه **وكانت له اليد البيضاء إذ أكد العقد وبادر إليه**)) ؛ لأنه سارع في تلك الليلة لما تكلم النبي ﷺ وعرض عليهم المبايعة بادر البراء رضي الله عنه وأخذ بيد النبي ﷺ وقال : ((نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ)) يعني مستعدين للقتال ، حتى أنهم قالوا له تلك الليلة على إثر تلك البيعة : إن شئت إذا أصبحنا نميل على أهل مِنى ، وهذا من إعلانهم الاستجابة والنصرة للنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

قال : ((**وحضر العباس عم رسول الله ﷺ موثقاً مؤكداً للبيعة ليطمئن على حال النبي ﷺ**)) ؛ حضر تلك الليلة وتكلم قبل النبي وكان وقتها مشركاً لكنه ماضٍ على النصرة – مثل ما كان أبو طالب ماضٍ إلى آخر حياته على نصرة النبي ﷺ – ليستوثق ويطمئن هل هم فعلاً سينصروه ويؤازروه . وهذا من المناصرة التي مضى عليها قرابة النبي ﷺ وهي مناصرة حمية لقرابته ﷺ ولمكانته وليست ديناً ، لكن أكرم الله ﷻ العباس رضي الله عنه فيما بعد ودخل في دين الله ﷻ .

قال : ((**واختار رسول الله ﷺ منهم تلك الليلة اثني عشر نقيباً**)) ؛ قال لهم عليه الصلاة والسلام : أخرجوا لي منكم اثني عشر نقيباً ليكون لهم المسؤولية على قومهم والمتابعة .

ثم ذكر النقباء قال : ((**وهم : أسعد بن زرارة ابن عُدَس ، وسعد بن الربيع ابن عمر ، وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس ، ورافع بن مالك ابن العجلان ، والبراء بن معرور ابن صخر ابن خنساء ، وعبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر وكان قد أسلم تلك الليلة** – أي جاء إلى مكة حاجاً على الشرك ، وفي تلك الليلة شرح الله ﷻ صدره للإسلام – **، وسعد بن عبادة بن دليم ، والمنذر ابن عمرو ابن خنيس ، وعبادة ابن الصامت**)) رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين ؛ وهو الذي مر معنا أنه كان يسمي هذه البيعة — بيعة الحرب —كما جاء في مسند الإمام أحمد .

قال : ((**فهؤلاء تسعة من الخزرج ، ومن الأوس ثلاثة وهم : أسيد ابن الحضير ابن سِماك ، وسعد بن خيثمة ابن الحارث ، ورفاعة بن عبد المنذر ابن الزبير ، وقيل بل هو أبو الهيثم بن التيهان مكانه ثم الناس بعدهم**)) .

قال : ((**والمرأتان هما : أم عُمارة نُسيبة بنت كعب ابن عمرو التي قتل مسيلمة ابنها حبيب بن زيد بن عاصم ابن كعب ، وأسماء بنت عمرو ابن عدي بن نابي**)) ؛ أسماء بنت عمرو هي أم معاذ بن جبل ﷺ ، ونسيبة بنت كعب وتُضبط في بعض المصادر نَسيبة بفتح النون ، التي قتل مسيلمة ابنها حبيب بن زيد بن عاصم في قصة عجيبة وهي : أن عيون مسيلمة – وهم الجواسيس – لقوا حبيب فأخذوه إلى مسيلمة ، فقال له مسيلمة الكذاب : تشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم أشهد أن محمداً رسول الله ، أعادها عليه قال : تشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال نعم ، فقال له : تشهد أنني رسول الله ؟ فأهوى بيديه إلى أذنيه وقال إنني أصم – يعني هذا الكلام لا أسمعه معلناً بذلك عدم القبول – فقتله مسيلمة الكذاب ومثَّل به ، ولهذا أشار هنا ابن كثير رحمه الله إلى هذه القصة قال : ((**التي قتل مسيلمة ابنها حبيب ابن زيد ابن عمر ابن عاصم ابن كعب**)) ، وأيضا يُنظر في ترجمتها هي رضي الله عنها فإنها كانت مجاهدة وأبلت بلاءً حسنا في مقاتلة مسيلمة فيما بعد ، في قصة عجيبة ومواقف عظيمة جداً لهذه المرأة مشهودة ، وخرجت من تلك المعركة

وهي مثخنة بالجراح ، وكان يتابع حالها خالد بن الوليد ﷺ ، وكانت تذكر له ذلك – رضي الله عن الجميع – .

قال : ((**فلما تمت هذه البيعة استأذنوا رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل العقبة**)) ؛ أي للقتال ، وهذا من سرعة استجابتهم للنبي عليه الصلاة والسلام .

((**فلم يأذن لهم في ذلك**)) ؛ بل قال لهم : لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم .

لما أصبحوا كأنَّ كفار قريش سمعوا بشيء من ذلك فجاءوا إلى الأوس والخزرج – طبعاً كفارهم ومسلميهم كانوا جاؤوا معاً – فسألوهم عن هذا الأمر هل حصل شيء من ذلك ؟ فنفى الكفار ذلك ، لأنهم ما شهدوا وما علموا بشيء من ذلك ، وكان المسلمون ينظر بعضهم إلى بعض ، يعني لم يتحدثوا بشيء وكانت الإجابة من الكفار بأنه لم يحصل شيء من ذلك .

قال : ((**بل أذِن للمسلمين بعدها من أهل مكة في الهجرة إلى المدينة فبادر الناس إلى ذلك ، فكان أول من خرج إلى المدينة من أهل مكة أبو سلمة ابن عبد الأسد هو وامرأته أم سلمة**)) ؛ من بني المغيرة وهي التي فيما بعد صارت زوجاً للنبي عليه الصلاة والسلام وأماً للمؤمنين رضي الله عنها وأرضاها .

((**فاحْتُبِسَت دونه**)) ؛ يعني لما أراد أن يهاجر مُنِعت من أن تهاجر معه ، منعها أهلها بنو المغيرة .

((**ومُنِعت سنةً من اللّحاقِ به ، وحيل بينها وبين ولدها**)) في قصة عجيبة رواها عنها ابن إسحاق في السيرة ، ذكرت أنها لما ركبت الناقة وابنها معها تحمله وأرادوا المضي جاء أهلها بنو المغيرة وقالوا لزوجها : أنت لا سبيل لنا عليك اذهب أين شئت لكن بنتنا لا يمكن أن تذهب ، فمنعوها وأنزلوها من البعير وأخذوها إلى البيت ، فمضى أبو سلمة ﷺ مهاجراً إلى المدينة ، فعلم بنو عبد الأسد – أهل الزوج – ، فجاءوا إلى بيتها وطلبوا الولد وقالوا ما يمكن أن يبقى ابننا عندها وقد منعتموه من أبيه ، فتجاذب بنو المغيرة وبنو عبد الأسد الابن حتى خلعوا يده ، كل يريد أن يبقيه عنده أهل الأم وأهل الزوج ، وفي النهاية أخذه بنو عبد الأسد . ومضت على هذه الحال سنة كاملة وهي تألم أشد الألم لفراق الزوج والبعد عن ابنها في قصة مؤلمة ، ثم إن أحد قرابتها رحمها وكلَّم أهلها فأذنوا لها أن تهاجر ، وأيضا بنو عبد الأسد أذنوا لها أن تحمل ابنها معها .

((**ثم خرجت بعد السنة بولدها إلى المدينة ، وشيَّعها عثمان بن أبي طلحة**)) ؛ ركبت بعيرها – مرأة ووحدها ومعها ابنها ، وتريد أن تهاجر إلى المدينة – ولما وصلت التنعيم لقيها عثمان ابن طلحة العبدري حاجب البيت ، وكان وقتئذ مشركاً فقال لها إلى أين ؟ قالت : إلى زوجي في المدينة ، قال لها : لن أتركِكِ تذهبين وحدكِ ، فأخذ بالبعير ومضى يقوده . تقول : " ووالله ما رأيت مثله صاحب " ، لاحظ رجل مشرك لكنه رأف بهذه المرأة وعطف عليها ويريد أن يوصلها إلى زوجها ، والوقت من مكة إلى المدينة يحتاج إلى أيام ، ربما خمسة عشر يوماً وليلة ، تقول : فكان إذا أدركنا الليل أناخ البعير وقال انزلي ، ثم أخذ البعير بعيداً عني وأنزل عنه الرحل الذي عليه ثم تنحى بعيداً ونام ، وإذا أصبح قرَّب البعير وشدَّ عليه الرحل وأدناه مني وقال اركبي ومضى ، حتى أشرفنا على قباء وقال زوجك في هذه المنازل ادخلي على بركة الله ورجع إلى مكة .

رجل وهو في هذا الوقت على الشرك بالله ، لكن انظر ما جعل الله ﷻ فيه من الرحمة ، وما جعل الله فيه من العفة !! ومثل هذه الأخلاق كانت توجد في بعض المشركين ؛ التعفف عن مثل هذه المحرمات وعن الفواحش ، ومما يذكر في هذا المقام قول أحد المشركين عن نفسه :

وأغضُّ طرفي إن بدَت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

يقول لو بدت جارتي لي أغض طرفي حتى تدخل في بيتها ، وفي بعض الأماكن يُتأذى من بعض المسلمين يتلصص على بيت جاره ويتأذى منه غاية الأذى ، ونلاحظ في بعض المشركين مع شركه بالله وكفره تجده متعفف عن ذلك!! والمسلم أوْلى أن يكون عفيفاً وأن يكون متنزهاً وبعيداً عن هذه المحرمات وأن يكون متَّصفاً بهذه الخصال .

ثم إن الله ﷻ أكرم عثمان ابن أبي طلحة ﷺ فيما بعد فأسلم ، وكان إسلامه ﷺ في هدنة الحديبية .

قال : ((**ويقال إن أبا سلمة هاجر قبل العقبة الأخيرة فالله أعلم**)) .

قال : ((**ثم خرج الناس أرسالاً يتبع بعضهم بعضا**)) .

وبمناسبة ما مر من بيعة العقبة الأولى والثانية والجهود المباركة التي بذلها الأنصار واستحقوا من حينئذ هذا الاسم المبارك الذي سماهم الله ﷻ به أحببت أن أذكر بعض الأحاديث التي تدل

على فضل الأنصار ومكانتهم ووجوب محبتهم وذكر مناقبهم وفضائلهم ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة لكن نذكر بعضها تذكيراً بفضلهم ﷺ .

عن أنس بن مالك ﷺ قال : ((قَالَتْ الْأَنْصَارُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَأَعْطَى قُرَيْشًا وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعَجَبُ إِنَّ سُيُوفَنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَاءِ قُرَيْشٍ وَغَنَائِمُنَا تُرَدُّ عَلَيْهِمْ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا الْأَنْصَارَ قَالَ : فَقَالَ مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ وَكَانُوا لَا يَكْذِبُونَ ، فَقَالُوا هُوَ الَّذِي بَلَغَكَ قَالَ أَوَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالْغَنَائِمِ إِلَى بُيُوتِهِمْ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بُيُوتِكُمْ ، لَوْ سَلَكَتْ الْأَنْصَارُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَهُم)) متفق عليه .

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ أنه قال : ((لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ بِي وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ ، قَالَ مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ ؟ قَالَ لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا ، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ)) متفق عليه .

وعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((لَوْ أَنَّ الْأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الْأَنْصَارِ وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ أَوْ كَلِمَةً أُخْرَى)) رواه البخاري .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : ((اجْتَمَعَ أُنَاسٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا آثَرَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَهُمْ ثُمَّ خَطَبَهُمْ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ قَالُوا صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ أَلَمْ تَكُونُوا ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ قَالُوا صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ أَلَمْ تَكُونُوا فُقَرَاءَ فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ قَالُوا صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ قَالَ أَلَا تُجِيبُونَنِي أَلَا تَقُولُونَ أَتَيْتَنَا طَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَأَتَيْتَنَا خَائِفًا فَآمَنَّاكَ أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبُقْرَانِ يَعْنِي الْبَقَرَ

وَتَـذْهَبُونَ بِرَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فَتُدْخِلُونَـهُ بُيُـوتَكُمْ لَـوْ أَنَّ النَّـاسَ سَـلَكُوا وَادِيًا أَوْ شُعْبَةً وَسَلَكْتُمْ وَادِيًا أَوْ شُعْبَةً سَلَكْتُ وَادِيَكُمْ أَوْ شُعْبَتَكُمْ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ)) رواه أحمد وإسناده صحيح .

وعـن أسـيد بـن حضـير ﷺ أن رجـلاً مـن الأنصـار قـال يا رسـول الله : ((أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا قَالَ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ)) متفق عليه .

وعـن أنـس ﷺ عـن النـبي ﷺ أنـه قـال : ((آيَـةُ الْإِيمَـانِ حُـبُّ الْأَنْصَـارِ وَآيَـةُ النِّفَـاقِ بُغْـضُ الْأَنْصَارِ)) متفق عليه .

وعن البراء ﷺ أنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : ((الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ)) متفق عليه .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا يُبْغِضُ الأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)) رواه مسلم .

وعَنِ الْحَكَمِ بْنِ مِينَاءَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ جَارِيَةَ الْأَنْصَارِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا فِي نَفَرٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مُعَاوِيَةُ فَسَأَلَهُمْ عَنْ حَدِيثِهِمْ فَقَالُوا كُنَّا فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِ الْأَنْصَارِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ أَلَا أَزِيدُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ أَحَبَّ الْأَنْصَارَ أَحَبَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ أَبْغَضَ الْأَنْصَارَ أَبْغَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)) رواه أحمد وإسناده صحيح .

وعـن أَنَـسٍ ﷺ أنـه قـال : ((رَأَى النَّـبِيُّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ النِّسَـاءَ وَالصِّبْيَانَ مُقْبِلِينَ قَـالَ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ مِنْ عُرُسٍ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُمْثِلًا فَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ)) متفق عليه . وقوله ممثلا : أي قائماً منتصبا .

وعن أنس ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ مَعْصُوبُ الرَّأْسِ قَالَ فَتَلَقَّاهُ الْأَنْصَارُ وَنِسَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ فَإِذَا هُوَ بِوُجُوهِ الْأَنْصَارِ فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأُحِبُّكُمْ وَقَالَ إِنَّ الْأَنْصَارَ قَدْ قَضَوْا مَا عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ مَا عَلَيْكُمْ فَأَحْسِنُوا إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ)) رواه الإمام أحمد وابن حبان بإسناد صحيح .

هذه بعض الأحاديث وإلا فالأحاديث في فضل الأنصار ووجوب محبتهم وأن حبهم إيمان وبغضهم نفاق كثيرة وصحيحة وثابتة عن رسول الله ﷺ ، ورضي الله عن الأنصار وعن الصحابة أجمعين وألحقنا جميعا بالصالحين من عباده .

قال رحمه الله تعالى :

[فصلٌ (هجرة رسول الله ﷺ) : ولم يبقَ بمكة من المسلمين إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما أقاما بأمره لهما ، وإلا من اعتقله المشركون كرهاً ، وقد أعدَّ أبو بكر رضي الله عنه جهازه وجهاز رسول الله ﷺ منتظراً متى يأذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في الخروج . فلما كانت ليلة همَّ المشركون بالفتك برسول الله ﷺ وأرصدوا على الباب أقواماً إذا خرج عليهم قتلوه ، فلما خرج عليهم لم يره منهم أحد ، وقد جاء في حديث أنه ذرَّ على رأس كل واحد منهم تراباً ثم خلص إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه ، فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلاً ، وقد استأجرا عبد الله ابن أُريقط وكان هادياً خرِّيتاً ماهراً بالدلالة إلى أرض المدينة ، وأمّناه على ذلك مع أنه كان على دين قومه ، وسلّما إليه راحلتيهما وواعداه غار ثورٍ بعد ثلاث ، فلما حصلا في الغار عمَّى الله على قريش خبرهما ، فلم يدروا أين ذهبا . وكان عامر بن فهيرة يريح عليهما غنماً لأبي بكر، وكانت أسماء بنت أبي بكر تحمل لهما الزاد إلى الغار ، وكان عبد الله بن أبي بكر يتسمَّع ما يقال بمكة ثم يذهب إليهما بذلك فيحترزان منه . وجاء المشركون في طلبهما إلى ثور وما هناك من الأماكن حتى إنهم مروا على باب الغار ، وحاذت أقدامهم رسول الله ﷺ وصاحبه ، وعمّى الله عليهم باب الغار ، ويقال – والله أعلم – إن العنكبوت سدَّت على باب الغار ، وإن حمامتين عششتا على بابه ، فذلك تأويل قوله تعالى : { إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [التوبة:٤٠] ، وذلك أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه لشدة حرصه بكى حين مرَّ المشركون وقال : يا رسول الله لو أنَّ أحدهم نظر موضع قدميه لرآنا ، فقال له النبي ﷺ : ((يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟)) . ولما كان بعد الثلاث جاءهما ابن أريقط بالراحلتين فركباهما ، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة وسار الديلي أمامهما على راحلته ، وجعلت قريش لمن جاء بواحد من محمد ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه مائةً من الإبل ، فلما مروا بحي مدلج بصر بهم سراقة بن مالك بن جُعشم سيد مُدلج فركب جواده وسار في طلبهم ، فلما قرب منهم وسمع قراءة النبي ﷺ ، و أبو بكر

ﷺ يكثر الالتفات حذِراً على رسول الله ﷺ ، وهو ﷺ لا يلتفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله هذا سراقة بن مالك قد رهِقنا ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فساخت يدا فرسه في الأرض فقال : قد علمتُ أن الذي أصابني بدعائكما ، فادعوا الله لي ولكما عليَّ أن أرد الناس عنكما ، فدعا له رسول الله ﷺ فأُطلق ، وسأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاباً ، فكتب له أبو بكر في أديم ، ورجع يقول للناس : قد كفيتم ما ههنا . وقد جاء مسلماً عام حجة الوداع ودفع إلى رسول الله ﷺ الكتاب الذي كتبه له ، فوفى له رسول الله ﷺ بما وعده وهو لذلك أهل ، ومرَّ رسول الله ﷺ في مسيره ذلك بخيمة أم معبد فقال عندها ، ورأت من آيات نبوته في الشاة وحلبها لبناً كثيراً في سنة مجدبة ما بهر العقول ﷺ] .

****

ذكر رحمه الله تعالى في هذا الفصل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة ولم يبقَ كما ذكر ابن كثير ((**إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي أقاما بأمره لهما وإلا من اعتقله المشركون كُرها**)) وإلا البقية تكاملوا هجرةً إلى مدينة النبي ﷺ وكانوا في شوقٍ عظيم وتحرٍّ بالغ في أن يأذن الله ﷻ له بالهجرة ، وكانوا يتحيَّنون ويتحرون مجيئه صلوات الله وسلامه عليه ، وقد جاء في الصحيحين أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِي – أي ظني – إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ)) ويثرب كان اسماً للمدينة ، ونهى صلوات الله وسلامه عليه عن تسميتها بعد بهذا الاسم .

قال : ((**وقد أعدَّ أبو بكر ﷺ جهازه وجهاز رسول الله ﷺ منتظراً متى يأذن الله ﷻ لرسوله في الخروج**)) فكانوا على علم ومعرفة بأن الهجرة بإذن الله ﷻ تامة إلى المدينة ، لكن يتحرون الإذن من الله ﷻ لرسوله ﷺ في الهجرة .

قال : ((**فلما كانت ليلة همّ المشركون بالفتك برسول الله ﷺ وأرصدوا على الباب أقواماً إذا خرج عليهم قتلوه ، فلما خرج عليهم لم يره منهم أحد**)) ؛ حاصروا البيت واتفقوا وتمالئوا على قتله صلوات الله وسلامه عليه فور خروجه ، وخرج عليه الصلاة والسلام تلك الليلة أمامهم من البيت ولم يروه .

قال ابن كثير : ((**وقد جاء في حديث أنه ذرَّ على رأس كل واحد منهم تراباً**)) ؛ يعني لما خرج وكان البيت مطوَّق بالرجال من هؤلاء الكفار متأهبين لقتله أخذ ﷺ تراباً من الأرض ودار عليهم واحداً واحدا يضع على رأس كل واحد منهم التراب ، ولما أصبحوا رأوا التراب على رؤوسهم ووجدوا أن النبي عليه الصلاة والسلام قد خرج ، وخبر وضع التراب على رؤوسهم واحداً واحدا هذا أورده ابن إسحاق ولم يُسنده ؛ فهو لم يثبت ، لكن الله ﷻ أعمى أبصارهم عن رؤيته صلوات الله وسلامه عليه ، وحماه منهم ووقاه منهم فخرج ولم يروه .

قال : ((**ثم خلص إلى بيت أبي بكر** رضي الله عنه **فخرجا** – أي هو وأبو بكر – **من خوخةٍ في دار أبي بكر ليلاً**))

((**وقد استأجرا عبد الله ابن أُريقط ، وكان هادياً خرِّيتاً ماهراً بالدلالة إلى أرض المدينة**)) ؛ عبد الله ابن أُريقط الديلي كان مشركاً ، وكان خريتاً : أي عنده مهارة في الدلالة والمعرفة بالطرق ، فاستأجراه على أن يقوم بالدلالة ، فقام بما استأجراه لأجله أحسن قيام .

((**وأمَّناه على ذلك**)) أي : لا يخبر أحداً ؛ فوفَّى بذلك .

((**مع أنه كان على دين قومه ، وسلَّما إليه راحلتيهما**)) ؛ مثل هذه القصة قصة عبد الله ابن أُريقط وقصة عثمان السابقة وقصص أخرى كثيرة يُعرف من خلالها أن عدداً من المشركين يكون متصفاً ببعض الأخلاق مثل أن يكون على أمانة أو يكون على عفة أو تنزُّه من الحرام مع كونه على الشرك والكفر بالله ﷻ ، ولكن هذه الأعمال مهما كثرت وعظمت لا تنفع الإنسان عند الله ﷻ إذا مات على الشرك لقول الله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣] .

قال : ((**وواعداه غار ثورٍ بعد ثلاث**)) أي بعد ثلاث ليالي . وثور : جبل جنوب مكة .

قال : ((**فلما حصلا في الغار عمَّى الله على قريش خبرهما فلم يدروا أين ذهبا**)) ؛ كان متوقعاً أن يخرج رسول الله ﷺ إلى جهة الشمال جهة المدينة ؛ ولكن هذا من حنكة النبي ﷺ وحُسن تدبيره وإرادته التعمية على المشركين ، فخرج من مكة من جهة لا يتوقعون أنه عليه الصلاة والسلام يخرج إليها ، ولهذا لما انطلقوا في البحث عنه كان انطلاقهم إلى جهة المدينة الجهة التي يُتوقع أنه ﷺ يخرج إليها .

((**وكان عامر ابن فهيرة يريح عليهما** – أي : على النبي ﷺ وأبي بكر – **غنماً لأبي بكر**)) ؛ كان يقوم على رعاية الغنم وكان قريباً منهما .

((**وكانت أسماء بنت أبي بكر تحمل لهما الزاد إلى الغار ، وكان عبد الله بن أبي بكر يتسمَّع ما يقال بمكة ثم يذهب إليهما بذلك فيحترزان منه**)) ؛ يعني يذكر لهم ما يكون من مؤامرات أو تدبير أو نحو ذلك ليحترزا من ذلك .

((**وجاء المشركون في طلبهما إلى ثور**)) ؛ يعني إلى الجبل ، وصلوا إلى المنطقة التي كان النبي عليه الصلاة والسلام وأبو بكر مختفيان فيها .

((**وما هنالك من الأماكن حتى أنهم مروا على باب الغار وحاذت أقدامهم رسول الله ﷺ وصاحبه وعمّى الله عليهم باب الغار**)) ؛ يعني لم يروا باب الغار فلم ينظروا إلى من بداخل الغار ، وهذا كله من نصرة الله ﷻ وحمايته لرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

قال : ((**ويقال** – ويؤتى بها للتضعيف – **والله أعلم أن العنكبوت سدَّت على باب الغار وإن حمامتين عشعشتا على بابه**)) وهذا لم يثبت بإسناد صحيح ، ولهذا ابن كثير نفسه قال رحمه الله تعالى في السيرة من كتابه البداية والنهاية لما ذكر هذا الخبر : "غريب جدا " ؛ مشيرا إلى عدم ثبوت هذا الخبر .

قال : ((**فذلك**)) ؛ أي: تعمية الله ﷻ وحمايته لرسوله ﷺ ولصاحبه وعدم اهتداء المشركين إلى مكانهما مع أنهم مروا على باب الغار .

((**تأويل قوله تعالى** : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٤٠])) ؛ قوله ﴿ لِصَاحِبِهِ ﴾ : أي أبي بكر ، وهذه منقبة كبرى لأبي بكر ﷺ ، نُصَّ على هذه الصحبة في كتاب الله ﷻ ، ولم يُنَص لأحد من الصحابة غيره ﷺ في القرآن .

وقوله : ﴿ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ ؛ هذا أيضاً مما يستفاد منه ضعف رواية العنكبوت والحمامة ؛ لأن العنكبوت تُرى وكذلك الحمامة أيضا تُرى ، والله ﷻ قال : ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

قال : ((**وذلك أن أبا بكر** ﷺ **لشدة حرصه بكى حين مر المشركون**)) ؛ أي بكى خوفاً على الرسول ﷺ وخشي أن يطلعوا عليه وأن يقتلوه صلوات الله وسلامه عليه .

((**وقال يا رسول الله لو أن أحدهم نظر موضع قدميه لرآنا**)) ؛ لأنهم وقفوا على باب الغار .

((**فقال له النبي** ﷺ : **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟**))

((**ولما كان بعد الثلاث**)) ؛ وكانوا واعدوا ابن أريقط بالراحلتين بعد ثلاث . ويئس المشركون وانتهى الطلب والبحث عن النبي ﷺ .

((**جاءهما ابن أريقط بالراحلتين فركباهما ، وأردف أبو بكر عامر ابن فهيرة**)) ؛ وجاء في صحيح البخاري ((يُعْقِبَانِهِ حَتَّى قَدِمَا المَدِينَةَ)) أي : النبي عليه الصلاة والسلام وأبو بكر يُعقبان عامر ابن فهيرة ﷺ على راحلتيهما حتى قدِما إلى المدينة .

((**وسار الديلي أمامهما على راحلته**)) ؛ الديلي هو عبد الله بن أريقط الذي استأجراه هادياً أي دليلاً لهما في الطريق ، جاء في صحيح البخاري عن عائشة قالت : ((وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِي وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ)) ؛ عامر ابن فهيرة ارتحل معهما مسلماً ، وهو ﷺ شهد بدراً وأحُداً وقُتل في معركة بئر معونة في السنة الرابعة من الهجرة ، وجاء في صحيح البخاري عن عامر ابن الطفيل قال : ((لَقَدْ رَأَيْتُهُ – يعني رأى عامر ابن فهيرة ﷺ – بَعْدَ مَا قُتِلَ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ ثُمَّ وُضِعَ)) يعني كأنه يراه فوق السماء . أما عبد الله ابن أريقط الدّيلي لم

يأتِ شيء يدل على أنه أسلم ، وقد جاء في الروض الأُنف للسهيلي قال : "ولم يكن إذ ذاك مسلماً ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك " .

قال : ((**وجعلت قريش لمن جاء بواحد من محمد ﷺ أو أبي بكر رضي الله عنه مائةً من الإبل**)) يعني دية الرجل ، من جاءهم بمحمد أو أبي بكر حياً أو ميتا .

((**فلما مروا بحي مدلج بصُر بهم سراقة بن مالك بن جُعشم سيد مدلج ، فركب جواده وسار في طلبهم**))؛ طمعاً في المئة ناقة ، والخبر بقصة سراقة ابن مالك جاء بنحوه في الصحيحين .

((**فلما قرب منهم وسمع قراءة النبي ﷺ ، وأبو بكر يكثر الالتفات حذراً على رسول الله**)) ؛ أي خوفاً على النبي عليه الصلاة والسلام ((**وهو ﷺ لا يلتفت**)) .

((**فقال أبو بكر : يا رسول الله هذا سراقة بن مالك قد رهِقنا**)) ؛ أي أدركنا ودنى منا .

((**فدعا عليه رسول الله ﷺ فساخت يدا فرسه في الأرض**)) ؛ أي دخلت يدا الفرس في الأرض فأصبح ثابتاً في مكانه لا يستطيع أن يتقدم ولا يستطيع أيضا أن يتأخر .

((**فقال** – أي سراقة – : **قد علمت أن الذي أصابني بدعائكما ، فادعوا الله لي ولكما عليَّ أن أرد الناس عنكما ، فدعا له رسول الله ﷺ فأُطلق ، وسأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاباً ، فكتب له أبو بكر في أديم** – أي في جلد – **ورجع يقول للناس : قد كفيتم ما ههنا**)) ؛ أي لا يوجد أحد في هذه الجهة ، وهذا من وفاءه مع النبي ﷺ . جاء في صحيح البخاري أن سراقة قال : ((فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ)) .

((**وقد جاء** – أي سراقة رضي الله عنه – **مسلماً عام حجة الوداع**)) يعني تأخر إسلامه إلى ذلك الوقت .

((**ودفع إلى رسول الله ﷺ الكتاب الذي كتبه له ، فوفى له رسول الله ﷺ ما وعده وهو لذلك أهل**)) أي الرسول ﷺ أهل للوفاء .

قال : ((**ومرَّ رسول الله ﷺ في مسيره ذلك** – أي إلى المدينة مهاجراً إليها – **بخيمة أم معبد فقال عندها**))؛ أي من القيلولة وهو النوم وقت القائلة وقت الظهر .

((ورأت من آيات نبوته في الشاة وحلبها لبناً كثيراً في سنة مجدبة ما بهر العقول ﷺ)) ؛ وقصة أم معبد التي يشير إليها ابن كثير رحمه الله وردت في المستدرك للحاكم وطبقات ابن سعد ودلائل النبوة لأبي نعيم والبيهقي وفي غيرها من المصادر ، وقال بن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية : " قصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا " ، وهي من دلائل نبوة نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام لأنها جاءت لهم بشاة هزيلة في سنة مجدبة وليس في الشاة حليب ، فمسح عليه الصلاة والسلام ودعا فأصبحت حلوباً كأحسن ما تكون الشاة حلباً، فشرب منها وشربت وشرب أبو بكر ، وكان هذا أمراً بهر هذه المرأة ، وهو آية من آيات نبوة نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه .